

سعودي يترفع على قمة المجد قادما من رحم المعاناة

محمد عبده

«فنان العرب» المحسود على محبة جمهوره له



● اسم محمد عبده يبرز كماركة سعودية مسجلة على جبين كل الانعطافات التي مر بها البلد، فهو سفير الفن السعودي إلى الخارج، وديوان غنائي خلد الكثير من مناسبات البلاد وأحداثها.



● الفنان الأصيل انحنى لعاصفة التشدد بانتظار أن تنجلي عن سماء صافية. وكاد يقضي نتيجة عمل إرهابي عام 2004، حين قرر منظر القاعدة في السعودية فارس آل شويل تفجير حفله الغنائي.

عمر علي البديوي
صحافي سعودي

كانت فترة السبعينات في المملكة العربية السعودية حافلة بالنجاح بالنسبة إلى محمد عبده، فقد عُرف على مستوى الوطن العربي كمطرب ناجح في بلاده وفي الخليج العربي. أطلق عليه الجمهور آنذاك لقب «مطرب الجزيرة العربية»، قبل انطلاقة الكبري من مصر، ليذيع صيته في كل حذب وصوب. ذلك النجاح الذي برز مبكرا كان حصيلة تضافر أسباب عدة، من بينها قوة المهابة التي تمتع بها محمد عبده، وملاءمة الظروف المشجعة على الإبداع، وذائقة الجمهور الطرية التي شكلتها أغنياته.

لم تكن مسيرته مكللة بالنجاح وحده، بل عانى مثل بقية المجتمع السعودي ونخبه من التحولات التي عصفت بالسعودية، والآثار السلبية الناتجة عن حجم الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية التي أطلقت حممها عليه.

كان عبده وثلة من الفنانين السعوديين جزءا من تطور الحالة الفنية والثقافية في منطقة الخليج والسعودية على وجه الخصوص، قبل أن تقتحمها رياح التشدد التي شلت الكثير من وجوه الحياة التي كانت تزين صحراء المنطقة وتعشب ترابها.

غيوم الصحوه القادمة

لاحقته مثل غيره سهام تشدد أخذت تقلص من مساحات الانفتاح والحرية التي تخصب الفن وتذكي شروط نجاحه، ويحتفظ عن مرحلة الصحوه بنديه في قلبه لم تغادر مخيلته حتى اليوم.



«فنان العرب» هو أول مطرب

سعودي يطرح ألبوما وطنيا

كان بعنوان «فوق هام السحب».

وهو من أكثر الفنانين غناء

للوطن، فقد تجاوزت أغانيه

الوطنية المئة، ومنها «الله أحد»

و«رسالة»، وغيرهما الكثير من

الأغنيات التي لا تزال حية اليوم

بين الناس، رغم مرور عقود على

إطلاقها

عندما اضطر إلى أن يتأخر عن جنازة والدته في الصفوف الخلفية حتى لا يكتشف أحد من المشيعين أنها والدته الفنان الشهير وتتعذر إقامة مراسم العزاء، كانت الأجواء وقتئذ مسمومة بالالتهم والتشنيع على الفنانين، لكن السعودية بجمهورها ونخبها وقبائنها تجاوزت تلك المرحلة الصعبة، وبقي عبده وزملاؤه يحمون شعلة الفن متقدة حتى تحين ساعة أخرى للخروج إلى الفضاء. كان عبده فنانا أصيلا وراعيا لموهبته،



● عبده يعبر عن مسار الحالة الثقافية السعودية، قبل عهد التشدد. «في الصورة عبده يفاجئ جمهوره ويقبل يد المغنية أنغام في حفل مشترك».



متابعو الوسط الفني يجمعون

على أن محمد عبده، مع طلال

مداح، كانا من أهم الفنانين

الذين ساهموا بنشر الأغنية

الخليجية في جميع أنحاء العالم

العربي، فهما اللذان ساهما

بتطوير الأغنية السعودية

بجانب الأمير الشاعر خالد

الفيصل والأمير الشاعر بدر بن

عبدالمحسن

و«رسالة» و«ياسعودي الباطل» و«أجل نحن الحجاز ونحن نجد» و«الوقد النار» و«حديثنا»، وغيرها الكثير من الأغنيات التي لا تزال حية اليوم بين الناس، رغم مرور عقود منذ إطلاقها، وهو يعد أول فنان سعودي يطرح ألبوما وطنيا كان بعنوان «فوق هام السحب».

لا يزال عبده حاضرا حتى يوم الناس هذا، يلهب حماس المسارح والمسببات الغنائية، ويتوج مناسبات الوطن المختلفة، وترقص الجماهير على صوت حنجرتة التي ما زادت التقدم في العمر إلا وقارا ووهجا، وما زالت تلك المهابة العتيقة تحتفظ بسره وسحره.

قبل أن تدخل السعودية في مرحلة مشعة من التحولات الجديدة، كان يتسائل بمضض في مجالسه وأمسياته الفنية خارج البلاد «إلى متى سيبقى الفن السعودي في المقياس؟». وجاء الجواب اليوم قاطعا مانعا بسلسلة من التغييرات التي أعادت إلى المنصات الوطنية روحها ونخبها من جديد. ويوم حانت ساعة العودة إلى حضن الوطن ودفء أهله، حل عبده اسما لامعا وصوتا صادحا ووجها باشا في إعلانات العهد الجديد ودعاياته، محتفظا بعقب البدايات ونضج النهايات.

إلا أن الناس عتقوا عليه كفرة مشاركاته واستنزاف طاقته، حتى أن رواد وسائل التواصل الاجتماعي حاولوا النيل من مكانة عبده الذي أتم عامه السبعين هذه السنة، إذ أطلقوا هاشتاغ «محمد عبده في الباحة» ومن بين هؤلاء مستخدم يسمى نفسه على تويتر «أبو سعد» كتب يقول «يا بن عبده وصلت السبعين وبقي ما اتعتقت؟ ألم تسمع قول الفرزدق: أظنك يا إبليس سبعين حجة/ فلما أنتهت شيبني وتم تماصي/ فررت إلى ربي وأيقنت أنني/ صلاق لأيام المنون جماسي». أما من أطلقت على نفسها لقب «الجليلة» فعقبت بالقول «استغفر الله هالشباب ما يتعب أبدا محمد عبده في الباحة» - فرء عليهم رئيس هيئة الترفيه المستشار تركي آل الشيخ بمقطع من أغنية لعبده يقول فيها «أنا سندباد.. لف البلاد».

على الجرس الذي اقترحه عبده عبر سلسلة أغنياته التي كانت تنضج بالزمان مع بناء هوية سمعية متماسكة للوطن الخليجي. لم يقتصر عبده في اختيار النصوص على اللهجة الخليجية، بل ذهب إلى الفصحى، في أكثر من قصيدة حديثة. وغامر بالتحلي مع رانعة من روائع الشعر العربي الجديد، حين قام بتلحين «انشودة المطر» لبدر شاكر السياب.

هذه الشجاعة أهلته لتقديم أغانيه في العديد من المسارح سواء كانت في الخليج العربي أم في دول بلاد الشام وشمال أفريقيا، ووصل صيته إلى العالمية. فقدم البومات وطنية تحمل صورته بلباس عسكري، وكان يشارك بشكل سنوي في مهرجان الجنادرية، ولحن وقتها العديد من أوبريتات الجنادرية منها «أرض الرسالات والبطولات» من كلمات الوزير الراحل الأديب غازي القصيبي، و«فارس المملكة» من كلمات كاتب التشيد الوطني السعودي إبراهيم خفاجي، و«فارس التوحيد» من كلمات الأمير الشاعر بدر بن عبدالمحسن.

فوق هام السحب

يجمع العديد من المتابعين للوسط الفني على أن محمد عبده، مع طلال مداح، كانا من أهم الفنانين الذين ساهموا بنشر الأغنية الخليجية في جميع أنحاء العالم العربي، فهما اللذان ساهما بتطوير الأغنية السعودية بجانب الأمير الشاعر خالد الفيصل والأمير الشاعر بدر بن عبدالمحسن.

وقد توج عبده أعماله البديعة بأغنية «الأماني» التي لاقت انتشارا واسعا عبر الحدود العربية، وياتت على كل لسان، لعذوبة كلماتها وأداء عبده الرفيع لها. يعتبر أكثر الفنانين غناء للوطن؛ فقد تجاوزت أغانيه الوطنية المئة، ومنها «الله أحد»

«داعي السماء» وغنى فيه من الحان محمد الموجي، لتأتي أغنيته «البعاد» في عام 1975 وتحمله على جناح الشهرة، وتصبح إحدى أنجح وأشهر الأغاني العربية على المستوى العالمي بعد أن ترجمتها فرق موسيقية دولية مختلفة.

أصبح عبده علامة لكل المناسبات الوطنية، ماركة سعودية مسجلة على جبين كل الانعطافات التي مر بها البلد، فهو سفير الفن السعودي إلى الخارج، وديوان المملكة الغنائي الذي خلد الكثير من مناسباتها وأحداثها، فرحها وترجها، في مقطوعات غنائية ما زالت تتناقلها الأجيال محتفظة بسحرها ولحنها ووهجها.

شكل بالحناءه المبتكرة، وذائقتة في اختيار النصوص، ذاكرة الفن السعودي، أجيال متعاقبة تربت أذنها الموسيقية

أن يسدوا الذرائع. يؤمن عبده بأننا نبدا عصرًا جديدا من الغناء العربي، على الرغم مما يصفه بالقول «كل ما بانفسنا من توهان حول موضوع الغناء، وقد كان بالسابق ينظر إلى الفنان أنه مستهتر بل جرّد من التواصل الديني وعزل عن الناس».

ولد عام 1948 في مدينة الدرب، وهي مدينة تابعة لمنطقة جازان التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة. وكان عمره ثلاث سنوات حين توفي والده، فنشأ يتيما في دار الأيتام بمنحة من الملك فيصل، والتحق بالمعهد الصناعي الثانوي في جدة، وحصل على دبلوم في صناعة السفن، كما عمل في بداية حياته بمصلحة البريد.

بدأ حياته الفنية هاويا في برنامج الأطفال «بابا عباس» في إذاعة جدة. وعمل في الكورس في قسم الموسيقى قبل أن يكتشفه الإعلامي والدبلوماسي الشهير عباس فائق غزاوي، وبارك هذا الاكتشاف الشاعر والأديب الراحل طاهر زيمخري، ليتبناه المحن عمر كدرس، فكانت أغنية «سكبت دموع عيني» من أغانيه المبكرة التي عرفه بها الجمهور أول مرة.

رمز الأغنية

لحن أول عمل من تأليفه وهو في الثانية عشرة من عمره، وسافر إلى بيروت في أول رحلة فنية وسجل العديد من الأغاني، وعلى شاشة تلفزيون شركة أرامكو ظهرت أعماله لأول مرة، ثم بعد ذلك على شاشة التلفزيون السعودي عبر أغنية «سكة التائهين»، وهي الأغنية التي حققت الكثير من الانتشار.

انتخب إليه الشارع السعودي حين استعار تعبير «الرمش الطويل» من واحدة من أغانيه، فدخلت كلماته عالم الموضة، وأطلقوها على أنواع من الأقمشة والسيارات وحتى السجائر.

وكغيره من الفنانين الذين توجهوا في ذلك الزمن إلى التمثيل إضافة إلى الغناء، أسوة بمحمد عبدالوهاب وفريد الأطرش وعبدالحليم حافظ، شارك عبده في مسلسل تلفزيوني من بطولته بعنوان «أغاني في بحر الأماني»، كما شارك في مسلسل إذاعي بعنوان

